تقيم التجريبية بين الاحداث والظاهرات ،وبين الوقائع في مباشرتها كمرئيات، علاقات **تشابه وتماثل** تتكرر بشكل تظهر فيه ثوابت تسمح للفكر بالمعرفة التي لا تخرج ، بالتالي ، عن كونها معرفة تجريبية · لكن العلاقات هذه هي ، في التجريبية ، **علاقات خارجية** ، لانها علاقات تواصل وتتابع تستقل فيها الاحداث والظاهرات بعضها عن بعض ، بحيث تكون ، في هذه العلاقات المتكررة نفسها ،لا **روابط** داخلية بينها ، ولا **ترابط سببيا** يحكمها ، بمعنى انها لا تخضع لاي **ضرورة داخلية** · بانتفاء هذه الضرورة الداخلية ، تنتفي ضرورة النظرية ، وينتفي طابعها الكوني الذي يجد في تلك الضرورة الداخلية اساسه **المادي** ، وتنتفي ، بالتالي ايضا ، **ضرورة العقل** في المعرفة العلمية · أما « القانون » فهو في مفهومه التجريبي هذا ، لا يخرج عن كونه ــ ان وجد ، او امكن التكلم عليه ــ تدوينا شكليا ، اي تدوينا بلغة شكلية كالرياضيات ، لعلاقة تتكرر بين الاحداث والظاهرات بشكل ثابت ، **لا ضرورة فيه** · « للقانون » ذاك ، اذن ، دوما طابع **مؤقت** قابل للتغير ، بحسب سيرورة التجربة · ولا يدخل في مجاله ، ولا يشمل حقله سوى **ما تشابه** من الاحداث والظاهرات او **تماثل** · وليس لهذا التشابه او التماثل اي ضرورة سوى تلقائية التجربة، او عرضيتها · وما هذه بضرورة · فمن الاحداث والظاهرات ، اذن ، ما يبقى ، حكما ، **خارج** علاقات التشابه والتماثل هذه ، لا تشمله « قوانينها » · فهو يبقى ، بالتالي ، خارج هذا العقل التجريبي نفسه ، لا يدخل في دائرة العقل التي هي وحدها ــ حتى في التجريبية ــ دائرة العلم والمعرفة · ولا عقل له الا هذا الذي **قد ينفرد به** · لكنه ــ حتى في التجريبية ــ ليس بالعقل ·

على ارض هذا المنطق التجريبي الرافض **لضرورة** العقل في الواقع المادي وكونيته ، ينبت منطق **الفرادة** اللبنانية ، ويصير بامكان شيحا ــ او غيره ــ ان يقول ما قال ، وان يؤكد ما اكد · ليس هذا درسا في المنطق · انه نقض ، او محاولة نقض لمنطق ايديولوجية البرجوازية اللبنانية · ومفهوم « الفرادة » ركن اساسي من اركان هذه الايديولوجية · بهذا المفهوم يتحقق ، **وهميا** ، ما تصبو اليه البرجوازية اللبنانية في ايديولوجيتها الطبقية هذه ، من اخراج لبنان ، ليس من دائرة العقل المادي وحكمه التاريخي بضرورة الانتقال الى الاشتراكية وحسب ، بل من دائرة العقل التجريبي نفسه · ولعل في اخراجه من هذه الدائرة ضرورة طبقية لتلك البرجوازية ، حتى لا يظهر ، في علاقة التشابه والتماثل التي تربطه بغيره من البلدان الرأسمالية ، كبلد رأسمالي برجوازي ، يصح عليه ما يصح عليها من انه يتكون ، مثلها ، **من مجموعة طبقات** اجتماعية محددة · بخروجه من الدائرتين ، يخرج لبنان عن العقل وعليه ، ليتفرد بذاته ، اذ لا شبيه له ولا مثيل · انه « هو الذي هو » (٩) ، لا يعرف الا بذاته ، كالله وحده · وبتفرده يتجوهر · هنا ، نخرج من العقل لنقع في السحر · فباي عقل نقاربه ؟